تنزيل الآيات على الواقع عند ابن القيم

د. يحيى بن محمد زمزمي (*)

ملخص البحث

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله، وبعد:

فقد عني أهل العلم قديماً وحديثاً بتدبر القرآن العظيم وتأمل آياته، والوقوف عند أحكامه وتوجيهاته، واستنباط العلاقة بين الواقع وحكمه وهداياته، وكان من الأئمة الأعلام، والعلماء الكرام، الذين عاشوا حياتهم بالقرآن ومع القرآن فقهاً وفهماً، وتدبراً وعلماً، وتطبيقاً وعملاً؛ الإمام المبارك: شمس الدين، أبو عبدالله، محمد بن أبي بكر الزَّرْعي، المشهور بـ «ابن القيم» (ت ٧٥١هـ) رحمة الله عليه.

فرأيت أن أبحث جهوده في ربط الآيات بالواقع معتمداً تفسيره المجموع في كتاب: «بدائع التفسير» وأضفت إليه بعض المواضع التي لم يشملها الكتاب المذكور، فبلغت (٥٦) موضعاً كانت هي محل الدراسة، وجعلت عنوان بحثي: (**تنزيل الآيات على الواقع عند ابن القيم**)، وشملت خطة البحث ما يلي:

القسم الأول: الدراسة النظرية، وتضمنت مقدمات تمهيدية، وتعريفاً موجزاً بالإمام ابن القيم وعصره، وعناية المفسرين بتنزيل الآيات على الواقع، وتأصيل مسألة (تنزيل الآيات على الواقع) عند الإمام ابن القيم، ثم الملامح العامة لمنهج الإمام ابن القيم في تنزيل الآيات على الواقع.

القسم الثاني: الدراسة التطبيقية، وتضمنت أبرز القضايا في عصر ابن القيم، وتنزيله الآيات عليها. ثم ختمت البحث بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج والتوصيات، وأتبعتها بذكر قائمة المصادر والمراجع، وفهرس الآيات التي عُني بها ابن القيم، وفهرس الموضوعات.

(*) أستاذ مشارك بكلية الدعوة وأصول الدين جامعة أم القرى.

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله، وبعد:

فقد أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم منهجاً للعباد، يحكمون به حياتهم، ويضبطون به تصرفاتهم، ويحتكمون إليه في معاملاتهم، ويطبقونه واقعاً عملياً في جميع شؤونهم، حتى يكون محياهم كله لله عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣].

وكثيراً ما نقرأ القرآن الكريم ونغفل عن ربطه بواقع حياتنا، ونفصل بينه وبين أعمالنا، وننسى تطبيقه على أحوالنا، وتبعاً لذلك فقد وجد في المسلمين من يقرأ القرآن طلباً لبركته فقط دون أن يفهم معانيه، ووُجِد مَنْ يقرؤه هذّاً بلسانه، ولا يعقل سوى مبانيه، وأسوأ منه من يقرؤه على أنه ماضٍ انتهى، وحكايات تتلى لا علاقة لها بواقعه وأحواله.

ولقد عني أهل العلم قديماً وحديثاً بتدبر القرآن العظيم وتأمل آياته، والوقوف عند أحكامه وتوجيهاته، واستنباط العلاقة بين الواقع وحكمه وهداياته، وكان من الأئمة الأعلام، والعلماء الكرام، الذين عاشوا حياتهم بالقرآن ومع القرآن فقهاً وفهماً، وتدبراً وعلماً، وتطبيقاً وعملاً؛ الإمام المبارك: شمس الدين، أبو عبدالله، محمد بن أبي بكر الزَّرْعي، المشهور بـ«ابن القيم» (ت ٧٥١هـ) رحمة الله عليه.

وقد قام الأستاذ يسري السيد أحمد بجمع كلام ابن القيم في التفسير في كتاب طبع في خمسة مجلدات سمّاه: «بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية» وكان جهداً مباركاً، وجمعاً موفقاً، سوى أنه فاته شيء يسير له تعلق بموضوع الكتاب، كما أنه أدخل فيه بعض كلام من «الفوائد المشوّق» وهو لابن النقيب، وقد طبع منسوباً خطأ إلى ابن القيم[1].

(١) انظر: مقدمة «جلاء الأفهام» ص: ٦٠.

وأثناء استعراض بعض موضوعات التفسير لفت نظري عنوان رسالة: «تطبيق الآيات على الوقائع المعاصرة من خلال تفسير المنار ومجالس التذكير والظلال» أعدَّها الباحث: عبد العزيز الضامر، في كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى، فرأيت أن أبحث هذا الموضوع معتمداً تفسير الإمام ابن القيم -رحمه الله- المجموع في «بدائع التفسير» وأضيف إليه بعض المواضع التي لم يشملها الكتاب المذكور، وجعلت عنوان بحثي: «**تنزيل الآيات على الواقع عند ابن القيم**»، وبعد تتبع وتدقيق للمواضع ذات العلاقة بموضوع البحث خلص لديّ (٥٦) موضعاً كانت هي موطن الدراسة في هذا البحث، وجعلت منهجي فيه على النحو الآتي:

١- تتبعت كتاب «بدائع التفسير» واستقرأت المواضع ذات العلاقة بالبحث والتي بلغت (٥٦) موضعاً كما تقدم.
٢- درست المواضع المذكورة دراسة موضوعية لاستنباط المسائل المتعلقة بالبحث.
٣- صنفت المواضع التي جمعتها حسب موضوعاتها ودلالاتها.
٤- قسمت البحث قسمين: أحدهما للدراسة النظرية، والآخر للدراسة التطبيقية.
٥- عَرَّفت بموضوع البحث وأهميته وفائدته.
٦- عَرَّفت بإيجاز بالإمام ابن القيم وعصره لعلاقته بموضوع البحث.
٧- أشرت إلى عناية بعض المفسرين بتنزيل الآيات على الواقع ومنهم ابن القيم.
٨- استنبطت الملامح العامة لمنهج ابن القيم في تنزيل الآيات على الواقع.
٩- حصرت أبرز القضايا في عصر ابن القيم، ثم أوردت الآيات التي أنزلها عليها.
١٠- وثّقت كلام ابن القيم من كتاب (بدائع التفسير) مع الإشارة إلى المواضع في كتبه الأصلية.
١١- ختمت البحث بذكر أهم النتائج، والتوصيات، ثم فهرس المراجع والمصادر، ثم فهرس الآيات التي عني ابن القيم بتنزيلهاعلى الواقع، ثم فهرس الموضوعات.

وتبعاً لذلك فقد كانت خطة البحث على النحو الآتي:

القسم الأول: الدراسة النظرية، وتضمنت الآتي:

أولاً: مقدمات تمهيدية.

ثانياً: تعريف موجز بالإمام ابن القيم وعصره.

ثالثاً: عناية المفسرين بتنـزيل الآيات على الواقع.

رابعاً: تأصيل مسألة (تنـزيل الآيات على الواقع) عند الإمام ابن القيم.

خامساً: الملامح العامة لمنهج الإمام ابن القيم، في تنـزيل الآيات على الواقع.

القسم الثاني: الدراسة التطبيقية، وتضمنت:

أبرز القضايا في عصر ابن القيم، وتنـزيله الآيات عليها.

ثم ختمت البحث بخاتمة ذكرت فيها أهم النتـائج والتوصـيات، وأتبعتهـا بـذكر قائمة المصادر والمراجع وفهرس الآيات التي عُني بها ابن القيم وفهرس الموضوعات.

هذا وأسأل الله تعالى أن ينفعنا ويرفعنا بالقرآن العظيم، وأن يجعلنا ممن يـستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه سميع مجيب.

القسم الأول: الدراسة النظرية

أولاً: مقدمات تمهيدية:

أ) معنى (تنـزيل الآيات على الواقع):

المقصود بهذا العنوان: مقابلة الأحداث المعاصرة في زمن المفسِّر، وإدخالها فيما يناسبها من الآيات القرآنية[1].

- وهذه المقابلة يمكن أن تكون بموافقة الواقعة لنص الآية كالتطبيق العملي له، أو بمخالفة الواقعة لتوجيه الآية والإعراض عن تطبيق معانيها .

- وعلاقة هذا الجانب بكتب التفسير ظاهرة، إذ التفسير هو مظنة شرح آيات القرآن وبيان معانيها وربطها بواقع الناس، وضرب الأمثلة الواقعة في عصر المفسر لتقريب المعاني، ومن ثَمَّ مقابلة الوقائع والأحداث وإدخالها فيما تنطبق عليه من آيات القرآن الكريم.

ب) أهمية الموضوع وفائدته:

من خلال التعريف السابق لهذا الموضوع، ندرك شيئاً من أهميته وفائدته، ومن ذلك:

١- زيادة توضيح معاني الآيات وتقريبها للأفهام والعقول، فانطباق معنى الآية على واقع يراه الناس عياناً يزيد في إدراكهم لها وفهم معناها ورسوخه في أذهانهم.
٢- تنمية علاقة المسلم بنصوص الوحي المنـزَّل، وربطه بكتاب الله في جميع أحواله وتقلباته، فما من نازلة تنزل إلا ويجد المسلم في كتاب الله هداية له فيها.
٣- الإسهام في إعادة صبغ الحياة العامة بالصبغة القرآنية ليكون منهج حياة الأمة،

(١) انظر: تطبيق الآيات على الوقائع المعاصرة ص: ٢٧.

ولفت النظر إلى ضرورة الاحتكام إلى كتاب الله تعالى والحذر من مخالفة أمره.

٤- تربية الأجيال على العيش في جو القرآن والعناية بتوجيهاته وهداياته.

٥- إحياء منهج السلف بدءاً بالنبي ﷺ وأصحابه الكرام في الرجوع إلى القرآن الكريم، والتخلق بأخلاقه والوقوف عند آياته.

٦- تأكيد شمول كتاب الله تعالى لجميع أحداث الحياة، وأنه ما من نازلة تنزل إلّا ويجد المسلم في القرآن هداية له فيها، كما قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

ثانياً: تعريف موجز بالإمام ابن القيم، وعصره:

أ) ترجمة موجزة للإمام ابن القيم -رحمه الله-[1]:

- هو أبو عبدالله، شمس الدين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزَّرْعي الدمشقي الحنبلي.

- ولد سنة (٦٩١هـ) بدمشق، ونشأ في بيت علم ودين، وكان ذا خلق حميد، وعبادة وتهجد، وزهد وانكسار، مع فطنة وذكاء.

- تتلمذ ابن القيم طويلاً على شيخ الإسلام ابن تيمية، ومن شيوخه: أبوه أبو بكر بن أيوب، وأبو العباس أحمد بن عبدالرحمن النابلسي (ت: ٦٩٧هـ)، وإسماعيل مجدالدين الحراني (ت: ٧٢٩هـ)، ومحمد شمس الدين البعلبكي (ت: ٧٠٩هـ).

- ومن تلاميذه: الحافظ عماد الدين إسماعيل بن كثير (ت: ٧٧٤هـ)، والعلَّامة أبو الفرج عبدالرحمن الشهير بابن رجب الحنبلي (ت: ٧٩٥هـ)، والعلَّامة محمد بن يعقوب الفيروزابادي (ت ٨١٧هـ). وغيرهم كثير.

- بلغت مؤلفاته (٩٧) كتاباً[2] منها: إعلام الموقعين عن رب العالمين، التبيان في أقسام القرآن، بدائع الفوائد، مدارج السالكين، زاد المعاد، الصواعق المرسلة، مفتاح دار السعادة... إلخ.

- توفي سنة (٧٥١هـ)، وعمره ستون سنة، فرحمة الله عليه.

ب) العصر الذي عاش فيه[3]:

عاش ابن القيم -رحمه الله- في نهاية القرن السابع الهجري، وإلى منتصف القرن

(١) ينظر في ترجمته: الدرر الكامنة ٤/ ٢١، بغية الوعاة ١/ ٦٢، شذرات الذهب ٦/ ١٦٨.

(٢) انظر: ابن القيم: حياته وآثاره: ص ١٩٩ فما بعدها.

(٣) ينظر في ذلك: البداية والنهاية: ١٣/ ٢٠٨ وما بعدها، كتاب ابن القيم من آثاره العلمية: ص ١٦ وما بعدها.

الثامن، وهي فترة مليئة بالأحداث العظام، فقد ولد والعالم الإسلامي يعاني آثار الحروب الصليبية والهجوم التتري، وما نتج عنه من آثار سياسية واجتماعية ودينية وغيرها، وكانت دمشق موطن إقامته تحت حكم المماليك بعد سقوط الخلافة العباسية، ولم تكن الحالة السياسية مستقرة في عصره. ومما يدل على اضطرابها أنه تعاقب على السلطنة في حياة ابن القيم أربعة عشر سلطاناً، وكان الصراع على السلطة في دمشق على أشدِّه، بينما قضى ابن القيم ثلاثين سنة من عمره في حالة استقرار نسبي، هي مدة حكم الناصر محمد بن قلاون.

ولم تكن الناحية الاجتماعية أقل سوءاً من السياسية؛ إذ ظهر التفكك الداخلي والخلافات المذهبية، ونشطت الفرق الضالة كالجهمية والقدرية الجبرية، وكذا ظهر أهل البدع من المتصوفة وعُبَّاد القبور، وكثرت الاضطرابات والفتن، ونشأت في المجتمع بعض العادات والتقاليد السيئة وجملة من المعاصي والمنكرات، كالغناء وآلات اللهو والطرب، وعُرِف الحشيش وانتشرت الرشوة والغش والاحتكار، وزاد السلب والنهب، وحَصَلَ الْجَدْبُ والقحط، وخيَّم الفزع والفقر والجوع والغلاء مع نقص الأموال والثمرات، وظهر الفساد في كثير من نواحي الحياة[1].

ولقد أثر ذلك الواقع في حياة ابن القيم -رحمه الله- وفي مسيرته العلمية والعملية، فظهرت غَيْرَتُه على دينه وأمته، واهتمامه بواقعها، وحرصُه على إصلاحها والعودة بها إلى طريق النجاة، في ضوء هذا الدين القويم، وبتوجيهات كتاب الله العظيم، وسنة رسوله الكريم ﷺ، فارتبط بنصوص الوحي في بحثه وعلمه وتوجيهاته، ولم يتعصب لمذهب، بل يجتهد ويستنبط، محاولاً القضاء على الفرقة والخلاف المذموم، وجَمْعَ كلمة المسلمين على الكتاب والسنة[2].

(١) انظر: اجتماع الجيوش الإسلامية: ١/ ٢٥-٤٢.

(٢) انظر: مقدمة «إعلام الموقعين» ١/ خ.

ومن جهة أخرى فقد أنكر ابن القيم مظاهر الشرك والبدع والفساد بيده ولسانه وقلمه، فألَّف المؤلفات في الرد على الطوائف المخالفة، كردِّه على الجهمية والمعطلة في (اجتماع الجيوش الإسلامية) و(الصواعق المرسلة)، وكتب (إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان) لبيان حكم كثير من المنكرات والمخالفات، وخَصَّ مسائل منها بتآليف مفردة مثل (الكلام على مسألة السماع)، ولا يخفى عنايته الفائقة بطب القلوب وشفاء النفوس من خلال كتبه المتميزة مثل (مدارج السالكين) و(روضة السالكين) و(مفتاح دار السعادة) و(عدة الصابرين) و(حادي الأرواح) و(الروح) وغيرها.

ومع وجود تلك الظواهر السلبية وتأثيرها في حياة ابن القيم، إلا أن هناك صوراً إيجابية في الدولة المسلمة، فشريعة الله حاكمة غالباً، وعامة المجتمع المسلم متراحم مترابط، مع سعة رقعة بلاد الإسلام، وانتشار العلم والعلماء، واهتمام المماليك ببناء المدارس والمساجد والجوامع، التي كانت منارات علم وهدى، وأسهمت في حفظ دين الأمة وكيانها، ومنها ظهرت القيادات العلمية كابن تيمية (ت ٧٢٨هـ)، وابن القيم، والذهبي (ت ٧٤٨هـ)، والصفدي (ت ٧٦٤هـ)، وابن كثير (ت ٧٧٤هـ) وغيرهم[1].

إذاً فالإمام ابن القيم -رحمه الله- عاش عصره، وعرف واقعه، وتأثر بذلك كما يظهر لنا من خلال آثاره ومصنفاته.

ثالثاً: عناية المفسرين بتنزيل الآيات على الواقع:

لقد عني جَمْعٌ من المفسرين -قديماً وحديثاً- بذكر أمثلة ونماذج تطبيقية يقرنون فيها بين الآيات القرآنية وبعض الوقائع المعاصرة لهم، إشارةً منهم إلى أن معنى الآية ينطبق على تلك الواقعة، أو أن ما حدث في الواقع يخالف التوجيه القرآني.

وما أورده المفسرون في هذا الباب يتفاوت قلة وكثرة، وتصريحاً وتلميحاً، لكنه

(١) انظر: اجتماع الجيوش الإسلامية ١/ ٤٣-٤٨.

يدلُّ بجلاء على اتفاق المفسرين على أن نصوص القرآن العظيم صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان، وأن العِبرة فيه بعموم ألفاظه، ولعلَّ هذا يفسِّر لنا عدم إكثارهم من هذا الأمر، أو عدم إفرادهم له كتباً ومؤلفات، ذلك أن القرآن كلّه أصول وكليات تندرج تحته جميع الفروع والجزئيات، تصديقاً لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، ونحوها من الآيات، فهو منهج حياة يحكم كل صغير وكبير من شؤون الناس الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها، وعليه فالواقع كلّه إما أن يكون موافقاً لهدي القرآن وتوجيهه، وما تضمَّنه من أصول وكليات عامة، أو أن يكون مخالفاً للقرآن وأحكامه، وغالب المفسرين إنما قصدوا توضيح الآيات وتقريب المعاني واستنباط الهدايات والأحكام والتوجيهات؛ ليسهل العملُ بها، وتطبيقُها في واقع الحياة، ولم يقصدوا إدراج الوقائع واستقصاء الأحداث التي تنطبق عليها كل آية من القرآن لكثرتها وتنوعها وتعدد مجالاتها، وأما ما أورده المفسرون من تنزيل لبعض الآيات على وقائع معينة فإنما كان على سبيل المثال والتقريب لا الحَصْر، أو لعظم ذلك الحدث وشدة تأثيره، ناهيك عن أن (فتاوى العلماء) وكتب (النوازل) قد حوت كثيراً من تنزيل الآيات على الوقائع.

وعلى الرغم من ذلك فقد حوت كتب التفسير أمثلة عمد فيها المفسِّر إلى ربط الآيات بواقعه تصريحاً أو تلميحاً، وسأورد هنا شيئاً من الأمثلة عن بعض التفاسير المشهورة:

١ - أحكام القرآن لابن العربي (ت ٥٤٣هـ):

أورد قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ...﴾ الآية [النساء: ٣٥].

ثم قال عنها: «وهي من الآيات الأصول في الشريعة، ولم نجد لها في بلادنا أثراً، بل ليتهم يرسلون إلى الأمينة[1]، فلا بكتاب الله ائتمروا، ولا بالأقيسة احتذَوا، وقد

(١) أي: يجعلان على يدي أمين (كما في القرطبي): ٥/ ١١٧.

ندبت إلى ذلك فما أجابني إلى بعث الحكمين عند الشقاق إلا قاضٍ واحد، ولا إلى القضاء باليمين مع الشاهد إلا قاضٍ آخر، فلما ولّاني الله الأمر أجريت السنة كما ينبغي، وأرسلت الحكَمين، وقمت في مسائل الشريعة كما علمني الله سبحانه من الحكمة والأدب لأهل بلدنا لما غمرهم من الجهالة»[1].

ففي هذا الموضع قارن الإمام ابن العربي بين واقعه وبين الحكم الشرعي المنصوص عليه في الآية، وبيّن مخالفة قضاة عصره لهذا التوجيه القرآني الكريم، ومن ثَمَّ ذكر تطبيقه للحكم في عصره.

٢- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية (ت ٥٤٦هـ):

وقد أشار في عدد من المواضع إلى أمثلة في عصره، وطبَّق عليها الآيات المفسرة، منها عند قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ...﴾ الآية [النساء: ٤٦]، فقال: «وهذا اللَّيُّ باللسان إلى خلاف ما في القلب موجود حتى الآن في بني إسرائيل، ويحفظ منه في عصرنا أمثلة، إلاّ أنه لا يليق ذكرها بهذا الكتاب»[2].

٣- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (ت: ٦٧١هـ):

وقد حوى أمثلة كثيرة تحمل تطبيقات معاصرة للتوجيهات القرآنية، من ذلك تعليقه على قول الله تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[البقرة: ٢٤٩].

فقال: «وفي قولهم رضي الله عنهم ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ﴾ الآية، تحريض على القتال واستشعار للصبر واقتداء بمن صدَّق ربه. قلت: هكذا يجب علينا نحن أن نفعل، لكن الأعمال القبيحة والنيات الفاسدة منعت من ذلك حتى ينكسر العدد الكبير

(١) أحكام القرآن: ١/ ٤٢١.
(٢) المحرر الوجيز: ٢/ ٦٢.

من قدام اليسير من العدو، كما شاهدناه غير مرة، وذلك بما كسبت أيدينا»[1].

ومنها تعليقه عند قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾[الشعراء: ١٣٠]، فقال: «وهذه الأوصاف المذمومة قد صارت في كثير من هذه الأمة، لا سيما بالديار المصرية منذ وليتها البحرية، فيبطشون بالناس بالسوط والعصا في غير حق»[2].

٤- البحر المحيط: لأبي حيان (ت: ٧٥٤هـ):

وفيه إشارات عديدة لتنزيل الآيات على الواقع، من ذلك حين أورد قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى ...﴾ الآية [النساء: ١٤٢]. فقال في تفسيرها: «أي مُتَوانين لا نشاط لهم فيها؛ لأنهم إنما يُصَلُّون تستراً وتكلفاً، وينبغي للمؤمن أن يتحرز من هذه الخصلة التي ذُمَّ بها المنافقون، وأن يقبل إلى صلاته بنشاط وفراغ قلب وتمهل في فعلها ولا يتقاعس عنها فعل المنافق الذي يصلي على كره لا عن طيب نفس ورغبة، ومازال في كل عصر منافقون يتسترون بالإسلام ويحضرون الصلوات كالمتفلسفين الموجودين في عصرنا هذا»[3].

- قول الله تعالى: ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾ [الفتح: ٢٠] أشار إلى أن المغانم المذكورة هي ما سيحصله المؤمنون من مغانم إلى يوم القيامة ثم قال: «ولقد اتسع نطاق الإسلام، وفتح المسلمون فتوحاً لا تحصى، وغنموا مغانم لا تعد، وذلك في شرق البلاد وغربها، حتى في بلاد الهند وفي بلاد السودان في عصرنا هذا، وقدم علينا حاجَّاً أحد ملوك غانة من بلاد التكرور، وذكر عنه أنه استفتح أزيد من خمس وعشرين مملكة من بلاد السودان، وأسلموا، وقدم علينا ببعض ملوكهم يحج معه»[4].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: ٣/ ١٦٦.
(٢) الجامع لأحكام القرآن: ١٣/ ٨٤.
(٣) البحر المحيط: ٣/ ٣٩٣.
(٤) البحر المحيط: ٨/ ٩٦.

٥- تفسير ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ):

ومن أمثلة ما فيه كلامه -رحمه الله- في تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠] فقال: «ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر، وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم «جنكيزخان» الذي وضع لهم (الياسق) وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها عن شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وغيرها، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه فصارت في بنيه شرعاً متبعاً يقدِّمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ..» إلخ كلامه[(١)].

ولعل ما ذُكر من أمثلة فيه الكفاية لبيان إيراد المفسرين قديماً تنزيل الآيات على الواقع، وربطهم للأحداث المستجدة بتوجيهات الوحي القرآني، وأما كتب التفسير المعاصرة فقد حوت شيئاً كثيراً من هذا النوع، بل قد أُلفت في ذلك الكتب والرسائل مما يغني عن ذكرها[(٢)].

ويظهر مما تقدم بعض الملامح العامة لعناية المفسرين بتنزيل الآيات على الواقع ومنها:

١- معرفة المفسرين بقضايا عصرهم، ومستجدَّات واقعهم.
٢- فقه المفسرين في ربط قضايا عصرهم بنصوص الوحي وتنزيل الآيات على الواقع.

---

(١) تفسير ابن كثير: ٢/ ٦٧.

(٢) ينظر على سبيل المثال رسالة: (تطبيق الآيات على الوقائع المعاصرة من خلال: المنار ومجالس التذكير والظلال).

٣- تنوع الموضوعات والقضايا، إذ شملت الجوانب السياسية والاجتماعية والدينية والأحوال العامة وغيرها.

٤- التصريح المباشر من قِبَل أكثر المفسرين في تنزيل الآيات على الواقع.

رابعاً: تأصيل مسألة تنزيل الآيات على الواقع عند الإمام ابن القيم:

سبقت الإشارة إلى أني وقفت على (٥٦) موضعاً تطبيقياً عني فيها الإمام ابن القيم -رحمه الله- بتنزيل الآيات على الواقع، غير أن الإمام ابن القيم أشار في عدة مواضع إلى تأصيل هذه المسألة والتنبيه عليها، والتذكير بها، وربطها ببعض قواعد التفسير، مما يؤكد عنايته بهذا الأمر، ويظهر ذلك من خلال أقواله وتقريراته، فيما يلي:

١- إنكاره على من فصل بين القرآن والواقع:

فبعد تفسيره لقول الله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ...﴾الآية [سبأ: ٢٢]. قال: «فكفى بهذه الآية نوراً وبرهاناً ونجاة وتجريداً للتوحيد، وقطعاً لأصول الشرك ومواده لمن عقلها. والقرآن مملوء من أمثالها ونظائرها، ولكن أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحته وتضمُّنه له، ويظنونه في نوع وفي قوم قد خلوا من قبل لم يعقبوا وارثاً، وهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فَهْم القرآن، ولعمر الله إن كان أولئك قد خلوا فقد ورثهم من هو مثلهم أو شر منهم أو دونهم، وتناول القرآن لهم كتناوله لأولئك»[(١)].

فهذا القول المختصر للإمام ابن القيم -رحمه الله- يُبرز منهجه ورأيه في المسألة التي هي محل البحث (تنزيل الآيات على الواقع) ويمكن أن نستخلص من كلامه المذكور بعض آرائه في هذه المسألة ومن ذلك:

- أن الواقع يدخل تحت نصوص القرآن وتوجيهاته وهداياته ويتضمنه لا محالة.

---

(١) بدائع التفسير: ٣/ ٤٣٥، وانظر: مدارج السالكين ١/ ٢٨٩.

- الإنكار على من يظن أن الواقع لا يدخل ضمن نصوص القرآن، أو أن تلك النصوص محددة بزمن قد انتهى.
- أن هذا الظن يحول بين القلب وبين الاستفادة من القرآن الكريم.
- أنه لا تزال طائفة تظن هذا الظن السيئ بكتاب الله تعالى وتفصل بينه وبين واقع الناس وشؤون حياتهم.

٢- تأكيده أن العبرة بعموم اللفظ، وأن تنزيل النصوص على الواقع هو الفقه في الدين:

ويوضح ذلك أنه أورد سبب نزول قوله تعالى ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾ [النور: ٣] وقول من قال إنه عام اللفظ خاص المعنى... ثم قال: «وهذا أيضاً فاسد، فإن هذه الصورة المعينة وإن كانت سبب النزول، فالقرآن لا يقتصر به على محالِّ أسبابه، ولو كان ذلك لبطل الاستدلال به على غيرها»(١).

ويفهم من هذا أنّه لابد من تطبيق معنى الآية على جميع الصور المشابهة للواقعة التي نزلت بشأنها، وعدم قَصْرها على الحادثة محل السبب.

وقال في موضع آخر: «والفقه تنزيل المشروع على الواقع»(٢)، أي: تنزيل نصوص الشرع على واقع الحال.

ونستنبط من كلام ابن القيم السابق ما يلي:

- أنَّ هناك علاقة وثيقة بين قاعدة: (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب) ومسألة تنزيل الآيات على الواقع المعاصر.
- أن دعوى تخصيص معاني القرآن بعصر معيّن أو حادثة فردية مذهب فاسد، ويؤدي إلى تعطيل النصوص الشرعية وبطلان الاستدلال بها.

(١) بدائع التفسير: ٣/ ٢٤٤، إغاثة اللهفان: ١/ ٦٥.
(٢) زاد المعاد: ٥/ ٤٧٢.

- اعتباره أن من الفقه في الدين تنـزيل النصوص الشرعية على الواقع.

٣- تقريره أن خطاب القرآن عام لمن بلغه ومتناول لمن أتى بعد عصر الرسول ﷺ:

وبيـان ذلـك أنـه لمـا فـسّر سـورة التكـاثر وأورد قـول مـن قـال في قولـه تعـالى: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [التكاثر: ٨] إنه خاص بالكفار ورد عليه بما صحَّ في الـسنة النبوية حين قـال النبـي ﷺ لأبي بكـر وعمـر -رضي الله عـنهما-: (والـذي نفـسي بيديـه لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة)[(١)] علّق فقـال: «فهـذا الحـديث الـصحيح صريـح في تعميم الخطاب وأنه غير مختص بالكفار، وأيـضاً فـالواقع يـشهد بعـدم اختـصاصه، وأن الإلهاء بالتكاثر واقع من المسلمين كثيراً، بل أكثرهم قد ألهاه التكاثر. وخطاب القرآن عامٌّ لمن بلغه، وإن كان أول من دخل فيه المعاصرون لرسول الله ﷺ، فهو متناول لمن بعدهم. وهذا معلوم بضرورة الدين، وإن نازع فيه من لا يُعْتَدُّ بقوله من المتأخرين.

فنحن اليوم ومَنْ قبلنا ومَنْ بعدنا داخلون تحت قولـه تعـالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾ [البقرة: ١٨٣] ونظائره، كما دخل تحته الصحابة -رضي الله عنهم- بالضرورة المعلومة من الدين»[(٢)].

وهذا النص من كلام ابن القيم -رحمه الله- واضح غاية الوضوح في تقرير مسألة (تنـزيل الآيات على الواقع) إذ نلمح منه ما يلي:

- تأكيده أن خطاب القرآن الكريم عام لكل من بلغه.
- استشهاده بواقع الحال على تحقق ما جاء في الآيات التي فسّرها.
- أن أول من يدخل في الخطاب القرآني: المعاصرون للنبي ﷺ وهو متنـاول لمـن بعدهم.
- عدُّه أن هذه المسألة من المعلوم بالضرورة من الدين.

---

(١) أخرجه مسلم: ٤/ ٧٢١.

(٢) بدائع التفسير ٥/ ٣١٧، عدة الصابرين ١٩١.

- تقريب المعنى بضرب المثل بآية الصيام التي شمل حكمها الصحابة -رضي الله عنهم- الذين نزلت في عصرهم كما شملت كل من جاء بعدهم.

٤- حثه على تنزيل الآيات على الواقع:

وهذا ظاهر في تفسيره لعدد من الآيات، ومن أمثلتها كلامه عند الآيات التالية:

- قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ [الروم: ٤١] فقال: «نزِّل هذه الآية على أحوال العالم، وطابق بين الواقع وبينها، وأنت ترى كيف تحدث من تلك الآفات والعلل كلَّ وقت في الثمار والزرع والحيوان..» إلخ كلامه[(١)].

- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ * وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ * فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥١ - ٥٣].

قال -رحمه الله-: «فمضت الرسل وأتباعهم على ذلك ممتثلين لأمر الله قابلين لرحمته، حتى نشأت خُلوف قطَّعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون، فمَن تدبر هذه الآيات وَنزَّلها على الواقع تبيَّن له حقيقة الحال، وعلم من أي الحزبين هو، والله المستعان»[(٢)].

قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ * أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ...﴾ الآيات [المؤمنون:٦٨-٧٤].

قال: «والناصح لنفسه العامل على نجاتها: يتدبر هذه الآيات حق تدبرها، ويتأملها حق تأملها، وينزلها على الواقع: فيرى العجب، ولا يظنها اختصت بقوم كانوا فبانوا، فالحديث لك واسمعي يا جارة، والله المستعان»[(٣)].

---

(١) بدائع التفسير ٣/ ٣٩٤، زاد المعاد ٤/ ٣٦٣.

(٢) بدائع التفسير: ٣/ ٢٣٣، إعلام الموقعين: ٢/ ١٦١.

(٣) مدارج السالكين: ٢/ ١١٨.

- قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ * مِن شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ الآيات [الفلق: ١- ٣].

قال: «فتأمل الاستعاذة برب الفلق من شرّ الظلمة، ومن شر ما يحدث فيها، ونزّل هذا المعنى على الواقع: يشهد بأن القرآن -بل هاتان السورتان- من أعظم أعلام النبوة، وبراهين صدق رسالة محمد ﷺ...»[1] إلخ كلامه.

ويظهر في هذه النقول من كلام الإمام ابن القيم -رحمه الله- عدة أمور منها:

- تنصيصه على مسألة (تنزيل الآيات على الواقع) وإطلاقه هذه التسمية عليها.
- حَثُّه قارئ القرآن على ربط آيات القرآن بالواقع وحقيقة الحال، وتكرار ذلك منه في عدة مواضع.
- تطبيقه لهذه المسألة عملياً، وضرب الأمثلة عليها، كما في آية سورة الروم وكما سيأتي في الدراسة التطبيقية.
- رَبْطُه بين تدبر القرآن وتأمل آياته ومسألة تنزيل الآيات على الواقع.

خامساً: ملامح عامة لمنهج الإمام ابن القيم في تنزيل الآيات على الواقع:

من خلال ما تقدم من أقوال ابن القيم وتأصيله لمسألة (تنزيل الآيات على الواقع)، وبالنظر إلى النماذج التطبيقية التي وقفت عليها من كلامه -رحمه الله-، يمكن أن تستخلص الملامح العامة لمنهجه في هذه المسألة وذلك على النحو الآتي:

١- أنه سلك في طريقة تنزيل الآيات على الواقع أسلوبين رئيسين:

أ) التصريح المباشر: وهذا يظهر من دعوته وحثه الواضح على هذا الأمر -كما تقدَّمت أقواله في ذلك- إضافة إلى العبارات التي استخدمها في التطبيق كقوله: «وقد شاهدنا نحن وغيرنا كذا وكذا»[2] وقوله: «ورأيته في بلد كذا، ونـاظَرْتُ

(١) بدائع التفسير ٥/ ٤٠٢.

(٢) بدائع التفسير ١/ ٢٧٢، إعلام الموقعين ١/ ١١٧.

فضلاءهم...»[1] وقوله «ولقد حدثني رجل أنه أنكر على رجل من هؤلاء...»[2]

ب) التلميح والتعريض: وهذا هو الأغلب في طريقته، حيث يشير أثناء تفسيره للآيات إلى أقوام مخالفين لما في الآية من التوجيهات والمعاني، كتعريضه بأصحاب الرياسات الذين يصدون عن الحق ويعارضونه ويكيدون له في سبيل إقامة رئاساتهم[3]، وكذا تعريضه بأصحاب الخيالات والجهالات[4] وأهل البدع والضلالات، وأفراخ الفلاسفة والملاحدة[5].

٢- استخدامه لصيغ عديدة في تنزيل الآيات على الواقع، مثل:

قوله: «وهذا حال أكثر الخلق...»[6].

وقوله: «ومن تأمل أحوال العالم...»[7].

وقوله: «من نظر في أحوال عصره...»[8].

وقوله: «نزّل هذه الآية على أحوال العالم وطابق بين الواقع وبينها...»[9].

وقوله: «فمن تدبر هذه الآية ونزّلها على الواقع...»[10].

ومنها صيغ غير صريحة تناسب الأسلوب الثاني، مثل:

قوله: «فأين هذا ممن وصفه...»[11].

---

(١) بدائع التفسير ١/ ٣٥٦، بدائع الفوائد ٤/ ١٧٢.
(٢) بدائع التفسير ٢/ ٢٣٠، بدائع الفوائد ٣/ ٢٩.
(٣) انظر: بدائع التفسير ١/ ١٥٥، مدارج السالكين ١/ ٦١.
(٤) انظر: بدائع التفسير ١/ ١٤٦، مدارج السالكين ١/ ٤٨.
(٥) انظر: بدائع التفسير ٣/ ١٥٨، شفاء العليل ٧٩.
(٦) بدائع التفسير ١/ ٢٧٧، اجتماع الجيوش الإسلامية ١٢-١٦.
(٧) بدائع التفسير ٣/ ٣٧٢، زاد المعاد ٣/ ١٦.
(٨) بدائع التفسير ٥/ ٣٨٤، بدائع الفوائد ٢/ ٢٠٥.
(٩) بدائع التفسير ٣/ ٣٩٤، زاد المعاد ٤/ ٣٦٣.
(١٠) بدائع التفسير ٣/ ٢٣٣، إعلام الموقعين ٢/ ١٦١.
(١١) بدائع التفسير ٥/ ١٣٧، المنار المنيف ٣٨.

وقوله: «لا كما يقول الفلاسفة...»[1].

وقوله: «وهذا ونحوه مما هدم قواعد الطبائعية والملاحدة والفلاسفة...»[2].

٣- غلب على تطبيقاته العموم فهو يشير فيها: إما إلى أحوال الناس العامة أو إلى مذاهب وطوائف، أو إلى عادات وأعراف، ويربط بينها وبين معاني الآيات التي يفسّرها.

ومن أمثلة ذلك:

قوله: «وهذا من أظهر الأشياء إبطالاً لقول القدريّة النفاة...»[3].

وقوله: «كما أن المنحرفين من أهل الإرادة لما لم تطهر قلوبهم تعوضوا بالسماع الشيطاني عن السماع القرآني الإيماني...»[4].

وقوله: «فكثير من الناس يرضى بالله رباً ولا يبغي رباً سواه، لكنه لا يرضى به وحده ولياً وناصراً...»[5].

وقوله: «ولا تجد ظالماً فاجراً إلا وفي صدره حرج من الآيات التي تحول بينه وبين إرادته»[6].

٤- غالب التطبيقات التي عني فيها ابن القيم بتنزيل الآيات على الواقع هي من قبيل مخالفة الواقع لمعنى الآية، فقد كان أكثرها في سياق الرد على أهل الأهواء المعرضين عن منهج الوحي، ومن أمثلته:

- عند قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ﴾ [الأعراف: ٥٥] فقال: «وقد ضعف تمييز خلائق في هذا المقام وساء تعبيرهم، فوقعوا في أنواع الطامات والشطح...»[7].

---

(١) بدائع التفسير ٥/ ١٣٧، التبيان في أقسام القرآن ١٢٦.
(٢) بدائع التفسير ٥/ ١٦٩، التبيان في أقسام القرآن ٨٨.
(٣) بدائع التفسير ١/ ٥٢٥، زاد المعاد ٣/ ٢٣٧.
(٤) بدائع التفسير ٢/ ١١٠، إغاثة اللهفان ١/ ٥٥.
(٥) بدائع التفسير ٢/ ١٨٧، مدارج السالكين ١/ ٥٧٥.
(٦) بدائع التفسير ٢/ ١٩٢، الفوائد ٨٢.
(٧) بدائع التفسير ٢/ ٢٢٧، بدائع الفوائد ٣/ ٢٧.

- في قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥] ، فقال: «والمعاند الجاحد يجادل بالتي هي أحسن هذا هو الصحيح في معنى هذه الآية، لا ما يزعم أسير منطق اليونان أن الحكمة قياس البرهان وهي دعوة الخواص...» إلى قوله «فتنزيل القرآن على قوانين أهل المنطق اليوناني واصطلاحهم وذلك باطل قطعاً»(١).

٥- تنوع الموضوعات والقضايا التي نزّل عليها الآيات حيث شملت الآتي:

أ) الجوانب السياسية: ومثاله كلامه عن أصحاب الرياسات(٢). وقوله في موضع آخر: «ومن تأمل أحوال العالم رأى هذا كثيراً فيمن يعين الرؤساء على أغراضهم الفاسدة...»(٣).

ب) الجوانب الاجتماعية: ومن أمثلته كلامه في بيان العلاقة بين الفساد الواقع في عصره وما يحدث من نقص البركات حتى قال: «ولقد كانت الحبوب من الحنطة وغيرها أكبر مما هي اليوم، كما كانت البركة فيها أعظم»(٤).

ج) الجوانب العقدية: وهي من أكثر القضايا التي نزّل عليها الآيات وربطها بالنصوص القرآنية استدلالاً عليها، وتفنيداً للشبه المثارة حولها، ورداً على المخالفين فيها، ومن أمثلتها:

- كلامه في مسألة إثبات صفات الله تعالى في مواضع عدة(٥)، منها:

عند قوله تعالى: ﴿ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ [البقرة: ١٨] فقال: «وقد شاهدنا نحن وغيرنا كثيراً من مخانيث تلاميذ الجهمية والمبتدعة إذا سمعوا شيئاً من آيات

(١) بدائع التفسير ٣/ ٦٤-٦٦، مفتاح دار السعادة ١٦٧.
(٢) انظر: بدائع التفسير ١/ ١٥٥، مدارج السالكين ١/ ٦١.
(٣) بدائع التفسير ٣/ ٣٧٢، زاد المعاد ٣/ ١٦.
(٤) بدائع التفسير ٣/ ٣٩٤، زاد المعاد ٤/ ٣٦٣.
(٥) انظر على سبيل المثال: بدائع التفسير: ١/ ٢٧٣، ٥٢٠، ٥٢٥، ٣/ ٢٢٢، ٤/ ١٢ وغيرها.

الصفات وأحاديث الصفات المنافية لبدعتهم، رأيتهم معرضين»[1].

- عند قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] قال: «فمن تدبر هذا الفصل حق التدبر تبيَّن له كيف وقعت الفتنة في الأرض بعبادة الأصنام، وتبيَّن له سر القرآن في الإنكار على هؤلاء المشبهة الممثلة، ولا سيما إذا جمعوا إلى هذا التشبيه تعطيل الصفات والأفعال، كما هو الغالب عليهم، فيجمعون بين تعطيل الرب سبحانه عن صفات كماله وبين تشبيه خلقه به»[2].

د) جانب الإعجاز العلمي في القرآن الكريم: ومن أمثلته:

- في قوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾[الانشقاق: ١٩] وكلامه عن مراحل تكوين الجنين وانفصاله عن رحم أمه، ومما قال: «... وقد اعترف بذلك حذاق الأطباء والمشرحين...»[3].

- عند قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾ [البروج: ١] فقال: «... وكل ذلك من آيات قدرته وشواهد وحدانيته، فإن السماء كُرَة متشابهة الأجزاء، والشكل الكُرِي[4] لا يتميز منه جانب عن جانب بطول ولا قصر ولا وضع، بل هو متساوي الجوانب، فجعل هذه البروج في هذه الكرة على اختلاف صورها وأشكالها ومقاديرها...» إلى أن قال: «وهذا ونحوه مما يهدم قواعد الطبائعية والملاحدة والفلاسفة»[5].

هـ) الأحوال العامة: ومن ذلك ما تفشى من التفرق وكثرة الخلاف، فقد أشار إلى هذه الحال عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣] فقال: «فمن تدبر هذه الآيات ونَزَّلها على الواقع تبين له حقيقة الحال، وعلم من أي الحزبين هو، والله المستعان»[6].

---

(١) بدائع التفسير ١/ ٢٧٢، إعلام الموقعين ١/ ١١٧.

(٢) بدائع التفسير ٤/ ١١٢، إغاثة اللهفان ٢/ ٢٣٢.

(٣) بدائع التفسير ٥/ ١٦٦، تحفة الودود ٢٤٨.

(٤) نسبة إلى «كُرَة»، وهي نسبة جائزة؛ لأن اللام لا تُرَدُّ في الجمع، فيجوز في النسب الردُّ وعدمه.

(٥) بدائع التفسير ٥/ ١٦٩، التبيان في أقسام القرآن ١٢٦.

(٦) بدائع التفسير ٣/ ٢٣٣، إعلام الموقعين ٢/ ١٦١.

- ومن ذلك كلامه المتقدم على العلاقة بين انتشار الظلم والفساد وما وقع من الآفات والعلل والنوازل، وذلك في تفسيره لقول الله سبحانه: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ [الروم: ٤١] فقال: «نزّل هذه الآية على أحوال العالم، وطابق بين الواقع وبينها، وأنت ترى كيف تحدث من تلك الآفات والعلل كل وقت في الثمار والزرع والحيوان»[(١)].

٦- جعل الإمام ابن القيم -رحمه الله- الحكم في «تنزيل الآيات على الواقع» والقول الفصل للكتاب والسنة، فلم يتكلف في ذلك أو يحمّل النصوص الشرعية ما لا تحتمله، بل يؤكد أثناء تطبيقاته هذا المبدأ الأصيل، وينكر أشد النكير على من خالف هذا المنهج:

ومن أمثلة ذلك: كلامه في تفسير قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾ [التوبة: ١٦]، فقال: «أي وليجة ممن اتخذ رجلاً بعينه عَيَّاراً على كلام الله ورسوله وكلام سائر علماء الأمة، يزن القرآن والسنة وكلام سائر العلماء على قوله، فما خالفه ردّه وما وافقه قبله»[(٢)].

٧- تضمن كلام الإمام ابن القيم في تنزيل الآيات على الواقع جملة من المواقف الشخصية التي وقعت له، وبعض القصص التي عاينها بنفسه، ولها علاقة بالنصوص الشرعية ومن أمثلة ذلك:

- في تطبيقه لقوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ [البقرة: ١٤٨] فقال: «وأما السامرة فإنهم يصلون إلى طور لهم بأرض الشام، يعظمونه ويحجون إليه، ورأيته أنا وهو في بلد نابلس، وناظرت فضلاءهم في استقباله...»[(٣)] إلخ كلامه.

- في كلامه على قول الله تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الحاقة: ٤٣] فقال: «وأذكر في

(١) بدائع التفسير ٣/ ٣٩٤، زاد المعاد ٤/ ٣٦٣.
(٢) بدائع التفسير ٢/ ٣٤٨، الصواعق المرسلة ٤/ ١٥٢٥.
(٣) بدائع التفسير ١/ ٣٥٦، بدائع الفوائد ٤/ ١٧٢.

هذا مناظرة جرت لي مع بعض اليهود...»[1] إلخ كلامه.

٨- عني الإمام ابن القيم -يرحمه الله- في تنزيل الآيات على الواقع بتوجيه القارئ ونصحه وإرشاده ووعظه ودعوته لتدبر الآيات من جهة، والتأمل في نفسه وحاله من جهة أخرى، حتى يعرف حقيقة أمره ومدى قربه أو بعده عن التوجيه القرآني، وقدر تعظيمه للنصوص الشرعية وموقفه منها، ومن أمثلة ذلك:

- في قوله تعالى: ﴿فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ [الأعراف: ٢] بعد أن أورد صوراً عديدة لمن تنطبق عليهم الآية خاطب القارئ فقال: «فتدبر هذا المعنى ثم ارض لنفسك ما شئت»[2].

- كلامه المتقدم عند قوله تعالى: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣] فقال: «فمن تدبر هذه الآية ونزلها على الواقع تبين له حقيقة الحال وعلم من أي الحزبين هو والله المستعان»[3].

- كلامه المتقدم عند قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ...﴾ الآيات [المؤمنون: ٦٨-٧٤]، فقال: «والناصح لنفسه العامل على نجاتها يتدبر هذه الآيات حق تدبرها، ويتأملها حق تأملها، وينزلها على الواقع فيرى العجب، ولا يظنها اختصت بقوم كانوا فبانوا، فالحديث لك واسمعي يا جارة، والله المستعان»[4].

تلكم بعض الملامح العامة التي ظهرت لي في منهج الإمام ابن القيم -رحمه الله- في تنزيل الآيات على الواقع، وهذا ما تؤكده وتفصله الدراسة التطبيقية فيما سيأتي بإذن الله تعالى.

---

(١) بدائع التفسير ٥/ ١٠٠، التبيان في أقسام القرآن ١٧٨.
(٢) بدائع التفسير ٢/ ١٩٢، الفوائد ٨٢ وفيه [ثم ارض لنفسك ما تشاء].
(٣) بدائع التفسير ٣/ ٢٣٣، إعلام الموقعين ٢/ ١٦١.
(٤) مدارج السالكين ٢/ ١١٨.

القسم الثاني: الدراسة التطبيقية

أبرز القضايا في عصر الإمام ابن القيم وتنزيله الآيات عليها:

أولاً: بدع الصوفية وشطحاتها:

شهد العصر الذي عاش فيه ابن القيم، انتشاراً للتصوف وكون كثير من المظاهر لا تنضبط بالضوابط الشرعية، فكان إنكاره لهذه البدع ملحوظاً في تنزيل الآيات على الواقع ومن ذلك:

- في تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: ٦] حيث قال: «وأما ما يقوله كثير من أصحاب الخيالات والجهالات: حدثني قلبي عن ربي: فصحيح أن قلبه حدثه، ولكن عمَّن؟ عن شيطانه أو عن ربه؟...» إلى أن قال: «وأنت ترى الاتحادي والحلولي والإباحي الشطَّاح والسمَّاع: مجاهراً بالقِحَة والفرية. يقول: حدثني قلبي عن ربي، فانظر إلى ما بين القائلين والمرتبتين والقولين والحالين. وأعط كل ذي حق حقه، ولا تجعل الزغل والخالص شيئاً واحداً»[1].

- ويظهر من هذا النص رَبْطُه بين طريق المهتدين السائرين على الصراط المستقيم، والمخالفين لهذا السبيل السالكين سبل الشياطين، مشيراً إلى تنزيله على الواقع، داعياً القارئ إلى التفريق بين الحالين والطريقين.

- في قوله تعالى: ﴿ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ قَدِ ٱسۡتَكۡثَرۡتُم مِّنَ ٱلۡإِنسِۖ وَقَالَ أَوۡلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلۡإِنسِ رَبَّنَا ٱسۡتَمۡتَعَ بَعۡضُنَا بِبَعۡضٖ وَبَلَغۡنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِيٓ أَجَّلۡتَ لَنَاۚ... ﴾ الآية [الأنعام: ١٢٨].

فقد فسَّر الآية، ووضَّح بعض صور استمتاع الإنس بالجن، ثم قال: «وهذه الآية

(١) بدائع التفسير ١/ ١٤٦-١٤٧، مدارج السالكين ١/ ٤٨-٤٩.

منطبقة على أصحاب الأحوال الشيطانية الذين لهم كشوف شيطانية وتأثير شيطاني، فيحسبهم الجاهل أولياء الرحمن، وإنما هم من أولياء الشيطان. أطاعوه في الإشراك ومعصية الله، والخروج عما بعث به رسله وأنزل به كتبه فأطاعهم في أن خدمهم بإخبارهم بكثير من المغيبات والتأثيرات، واغترَّ بهم من قلَّ حظُّه من العلم والإيمان، فوالى أعداء الله وعادى أولياءه، وحسن الظن بمن خرج عن سبيله وسننه، وأساء الظن بمن اتبع سنة الرسول-صلى الله عليه وسلم- وما جاء به، ولم يَدَعْها لأقوال المختلفين، وآراء المتحيرين، وشطحات المارقين، وترَّهات المتصوفين. والبصير الذي نوّر الله بصيرته بنور الإيمان والمعرفة، إذا عرف حقيقة ما عليه أكثر هذا الخلق، وكان ناقداً لا يروج عليه الزغل، تبيّن له أنهم داخلون تحت حكم هذه الآية، وهي منطبقة عليهم...» إلخ كلامه[1].

فهنا ينص ابن القيم على انطباق الآية على أصحاب الأحوال الشيطانية من المتصوفة ومن وافقهم وصدَّقهم واغتر بزغلهم.

- عند قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥] فقد أشار إلى قرب العبد من ربه ومحبته لمولاه وعلاقة ذلك بإخفاء الدعاء، ثم قال مشيراً إلى بعض أفعال المتصوفة: «وقد ضعف تمييز خلائق في هذا المقام وساء تعبيرهم، فوقعوا في أنواع الطامات والشطح»[2].

- وفي كلامه على الآية نفسها: تحدَّث عن ضرورة اقتران محبة الله بالخوف منه، وإلّا لم تنفع صاحبها، بل قد تضره، وربما آلت ببعض الجهال المغرورين إلى ترك الواجبات، بحجة عبادة الله بالمحبة وحدها، ثم قال: «ولقد حدثني رجل أنه أنكر على رجل من هؤلاء خلوة له ترك فيها حضور الجمعة، فقال له الشيخ: أليس الفقهاء يقولون: إذا خاف على شيء من ماله فإن الجمعة تسقط عنه؟ فقال له: بلى، فقال له:

(١) بدائع التفسير ٢/ ١٨٢، إغاثة اللهفان ٢/ ٢٣٦.
(٢) بدائع التفسير ٢/ ٢٢٧، بدائع الفوائد ٣/ ٢٧.

فقلب المريد أعزّ عليه من ضياع عشرة دارهم، أو كما قال، وهو إذا خرج ضاع قلبه، فحِفْظُه لقلبه عذر مسقط للجمعة في حقه...» إلى أن قال ابن القيم معلِّقاً على القصة: «فتأمل هذا الغرور العظيم كيف آل بهؤلاء إلى الانسلاخ عن الإسلام جملة، فإن من سلك هذا المسلك انسلخ عن الإسلام العام كانسلاخ الحية من قشرها، وهو يظن أنه من خاصة الخاصة. وسبب هذا عدم اقتران الخوف من الله بحبه وإرادته»[1].

ثانياً: نفاة صفات الله تعالى:

وهذه القضية أخذت حيّزاً كبيراً من اهتمام ابن القيم وكلامه في التفسير وتنـزيله الآيات على واقع الفرق التي ضلت في هذا الباب وحادت عن الصواب، فقد وقفت على اثني عشر موضعاً من كلامه في هذه المسألة[2]، سأقتصر على نماذج منها:

- في تفسير قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ * صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ...﴾ إلى قوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٧ - ٢٠] فقد وصف حال المنافقين مع الوحي المنـزل، إلى أن قال: «وقد شاهدنا نحن وغيرنا كثيراً من مخانيث تلاميذ الجهمية والمبتدعة إذا سمعوا شيئاً من آيات الصفات وأحاديث الصفات المنافية لبدعتهم، رأيتهم عنها معرضين: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ * فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ [المدثر: ٥٠ - ٥١]، ويقول مخنثهم: سُدّوا عنّا هذا الباب، واقرؤوا شيئاً غير هذا، وترى قلوبهم مولية وهم يجمحون لثقل معرفة الرب سبحانه وتعالى وأسمائه وصفاته على عقولهم وقلوبهم...][3] الخ كلامه.

- في تفسير قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ...﴾ الآية [آل عمران: ١٨].

---

(١) بدائع التفسير ٢/ ٢٣٠، بدائع الفوائد ٣/ ٢٩.

(٢) انظرها في: بدائع التفسير ١/ ٢٧٣، ٤٧٧، ٥٢٠، ٥٢٥، ٢/ ١١٠، ١٩١، ٣/ ٢٢٢، ٤٠٨، ٤/ ٢١، ١١٢، ٣٦٩، ٥/ ١٤١.

(٣) بدائع التفسير ١/ ٢٧٢، إعلام الموقعين ١/ ١١٧.

حيث تكلم طويلاً على ما تضمنته الآية من إثبات حقيقة التوحيد، والرد على الطوائف المخالفة كالجهمية والقدرية والجبرية والاتحادية وغيرها، ثم ألمح إلى بعض ما كان يرمي به المبتدعة أهل السنة من تهم باطلة فقال: «... ومنها: الشهادة من الله سبحانه لأهل هذه الشهادة: أنهم أولوا العلم فشهادته سبحانه لهم أعدل وأصدق من شهادة الجهمية والمعطلة والفرعونية لهم بأنهم جهّال، وأنهم حشوية، وأنهم مشبهة، وأنهم مجسمة، ونوابت ونواصب، فكفاهم شهادة أصدق الصادقين لهم: بأنهم من أولي العلم»[1].

- في قوله تعالى: ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٧٤] فقد ذكر موقف أهل الإيمان من تعظيم الله ومعرفته وعبادته، ووَصْفِه بما يليق بجلاله، ثم أشار إلى بعض من يقصّر في هذا الباب من المعطلة نفاة الصفات والمتفلسفة وأتباعهم، فقال: «فإنه إذا كانت السموات السبع في يده كالخردلة في يد أحدنا، والأرضون السبع في يده الأخرى كذلك، فكيف يُقَدِّره حق قدره من أنكر أن يكون له يدان فضلاً عن أن يقبض بهما شيئاً؟ فلا يد عند المعطلة ولا قبض في الحقيقة، وإنما ذلك مجاز لا حقيقة له، وللجهمية والمعطلة نفاة الصفات من هذا الذم أوفر نصيب، وللمتفلسفة وأفراخهم وأتباعهم ذنوب مثل ذنوب أصحابهم وأكثر»[2].

ثالثاً: السماع والرقص والغناء:

من الواضح أن مسألة السماع والافتتان بأصوات الغناء والتراقص عليه كان لها انتشار كبير في عصر الإمام ابن القيم -رحمه الله- وهي من فروع التصوف وبناته، لذا فقد أولى الموضوع اهتماماً من خلال تفسيره لآيات القرآن الكريم، بل إنه ألّف مصنفاً خاصاً بالمسألة وسماه «الكلام على مسألة السماع» استدل فيه بالآيات البينات على واقع

(١) بدائع التفسير ١/ ٤٧٧، مدارج السالكين ٢/ ٥٨١.

(٢) بدائع التفسير ٣/ ٢٢٢-٢٢٣، الصواعق المرسلة ٤/ ١٣٦٤.

هذه المسألة وما تفرع عنها من المخالفات الشرعية، ومن كلامه في هذا الباب:

- عند قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] قال: «فلم يقل فارقصوا وغنوا واطربوا على صوت المزامير والشبابات والألحان المطربات بالتوقعات والنغمات، فمن أضل سبيلاً ممن يدعى محبة الله، ويزعم أنه يتقرب إليه بهذا السماع الشيطاني الذي هو حظ النفس والشيطان»[(١)].

فهنا يشير -رحمه الله- إلى بعض ما انتشر من مظاهر الرقص والغناء مما تفعله المتصوفة زاعمين به محبة رسول الله ﷺ والفرح والتقرب به إلى الله عز وجل، وحاشا لله أن تكون تلك المظاهر قربة إليه.

- في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال: ٣٥] فقد بَيَّن معنى المكاء والتصدية، ثم قارن سماع المشركين بالسماع في عصره وما انضاف إليه من استخدام الآلات والرقص والحركات، فقال: «فإن المكاء هو الصفير وتوابعه من الغناء، والتصدية: التصفيق بالأيدي وتوابعه، فإذا كان هذا سماع المشركين الذي ذمه الله في كتابه، فكيف إذا اقترن بالمكاء المواصيل والشبابات، وبالتصدية الدفوف المصلصلات والرقص والتكسر والتثني بالحركات الموزونات؟ فكأن القوم إنما حلّ لهم المكاء والتصدية لما انضمت إليه هذه المؤكدات»[(٢)].

- في قوله تعالى: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٩] قال معلقاً على الآية: «فأمره أن يغض من صوته وأن يقصد في مشيه، كما أمر المؤمنين أن يغضوا من أبصارهم، وأصحاب السماع لا هذا ولا هذا ولا هذا، بل إطلاق البصر، ورفع الصوت، والرقص»[(٣)].

---

(١) بدائع التفسير ١/ ٤٩٨، الكلام عن مسألة السماع ١٤٧.
(٢) بدائع التفسير ٢/ ٣٣٧، الكلام عن مسألة السماع ٣٣٦.
(٣) بدائع التفسير ٣/ ٤٠٧، الكلام عن مسألة السماع ٣٥٤.

ويظهر من كلامه ربطه بين واقع أهل السماع في عصره ومخالفة ذلك للآية الكريمة.

رابعاً: القضايا الاجتماعية والأحوال العامة:

عني الإمام ابن القيم -رحمه الله- بتنزيل الآيات على أحوال الناس العامة في عصره، وبيان علاقتها بسنن الله تعالى في الأمم والمجتمعات، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

- عند قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ۞ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ۞ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥١ - ٥٣] فقال: «فمضت الرسل وأتباعهم على ذلك ممتثلين لأمر الله قابلين لرحمته، حتى نشأت خلوف قطّعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون، فمن تدبر هذه الآيات ونزلها على الواقع تبيّن له حقيقة الحال، وعلم من أي الحزبين هو، والله المستعان»[1].

وكلام ابن القيم هنا فيه إشارة واضحة إلى ما آل إليه الحال في عصره من التفرق والاختلاف، ودعوته إلى السير على طريق الرسل وأتباعهم استجابة لأمر الله تعالى ومنعاً من وقوع الفرقة والخلاف.

- في قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ﴾ [الروم: ٤١] قال: «نزّل هذه الآية على أحوال العالم، وطابق بين الواقع وبينها، وأنت ترى كيف تحدث من تلك الآفات والعلل كل وقت في الثمار والزرع والحيوان، وكيف يحدث من تلك الآفات آفات أخر متلازمة بعضها آخذ برقاب بعض، وكلما أحدث الناس ظلماً وفجوراً، أحدث لهم ربهم تبارك وتعالى من الآفات والعلل في أغذيتهم وفواكههم وأهويتهم ومياههم وأبدانهم وخلقهم وصورهم وأشكالهم وأخلاقهم من النقص والآفات ما هو موجب أعمالهم وظلمهم وفجورهم. ولقد كانت الحبوب من الحنطة

(١) بدائع التفسير ٣/ ٢٣٣، إعلام الموقعين ٢/ ١٦١.

وغيرها أكبر مما هي اليوم، كما كانت البركة فيها أعظم»[1].

– ويظهر من كلامه الارتباط بين السنة الكونية التي تشير إليها الآية الكريمة وبين الواقع، فقد بيَّن أن تلك السنة انطبقت على واقع الحال فيما يحدث من نزول الآفات والعلل، مستشهداً بتغيّر حجم حبات الحنطة وقلة البركة فيها عما كانت عليه من قبل.

– في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [الأنفال: ٥٣] فقال: «ومن تأمل ما قص الله في كتابه من أحوال الأمم الذين أزال نعمه عنهم، وجد سبب ذلك جميعه إنما هو مخالفة أمره، وعصيان رسله. وكذلك من نظر في أحوال أهل عصره، وما أزال الله عنهم من نعمه، وجد ذلك كله من سوء عواقب الذنوب»[2].

وفي هذا النقل إشارة إلى النظر في أحوال الواقع وربطها بالآيات القرآنية والسنن الربانية، ويلمح إلى شيء مما كان في عصره من زوال النعم بسبب الذنوب والعصيان.

خامساً: القضايا السياسية:

لم يعن الإمام ابن القيم كثيراً بتنزيل الآيات على الواقع السياسي في عصره، إلا أن له إشارات يسيرة في هذا الباب، منها:

– في تفسير سورة الفاتحة، حيث عقد فصلاً في بيان اشتمال الفاتحة على الشفاءين: شفاء القلوب وشفاء الأبدان، ومما قاله: «فمن طلب غاية منقطعة مضمحلة فانية وتوسل إليها بأنواع الوسائل الموصلة إليها كان كلا نوعي قصده فاسداً، وهذا شأن كل من كان غاية مطلوبه غير الله وعبوديته من المشركين ومتبعي الشهوات الذين لا غاية لهم وراءها، وأصحاب الرياسات المتبعين لإقامة رياستهم بأي طريق كان من حق أو

(١) بدائع التفسير ٣/ ٣٩٤، زاد المعاد: ٤/ ٣٦٣.
(٢) بدائع التفسير ٥/ ٣٨٤، بدائع الفوائد ٢/ ٢٠٥.

باطل، فإذا جاء الحق معارضاً في طريق رياستهم طحنوه وداسوه بأرجلهم، فإن عجزوا عن ذلك دفعوه دفع الصائل، فإن عجزوا عن ذلك حبسوه في الطريق وحادوا عنه إلى طريق أخرى وهم مستعدون لدفعه بحسب الإمكان، فإذا لم يجدوا منه بداً أعطوه السكة والخطبة وعزلوه عن التصرف والحكم والتنفيذ، وإن جاء الحق ناصراً لهم وكان لهم صالوا وجالوا، وأتوا إليه مذعنين، لا لأنه حق، بل لموافقته غرضهم وأهواءهم وانتصارهم به: ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ۞ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ ۞ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [النور: ٤٨ - ٥٠] ...»[1] إلخ كلامه.

فهذا النص من كلام ابن القيم -رحمه الله- فيه إشارات واضحة إلى حال بعض الساسة مع الحق وموقفهم منه إذا خالف مصالحهم، والسبل التي يتبعونها لإبعاده عن طريقهم.

- كلامه على سنة الابتلاء في قوله تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢]، إذ ذكر حال الناس مع من يخالفهم في إراداتهم وتصوراتهم، فإن وافقهم فيما يطلبون سلم منهم برهة، ثم تسلطوا عليه بالأذى والإهانة، مؤكداً أن الحزم في إرضاء الله تعالى ولو سخط الناس، ثم قال: «ومن تأمل أحوال العالم، رأى هذا كثيراً فيمن يعين الرؤساء على أغراضهم الفاسدة، وفيمن يعين أهل البدع على بدعهم هرباً من عقوبتهم، فمن هداه الله وألهمه رشده ووقاه شر نفسه، امتنع من الموافقة على فعل المحرم وصبر على عدوانهم، ثم تكون له العاقبة في الدنيا والآخرة، كما كانت للرسل وأتباعهم كالمهاجرين والأنصار ومن ابتلي من العلماء والعباد وصالحي الولاة والتجار وغيرهم»[2].

---

(١) بدائع التفسير ١/ ١٥٥-١٥٦، مدارج السالكين ١/ ٤٨-٤٩.

(٢) بدائع التفسير ٣/ ٣٧٢-٣٧٣، زاد المعاد ٣/ ١٦.

سادساً: مظاهر الشرك والفسوق:

أشار الإمام ابن القيم -رحمه الله- إلى بعض المظاهر والمخالفات الواقعة في عصره، في جانب الشركيات والفسق والفجور، ومن ذلك:

- كلامه على المساجد والقباب المبنية على القبور، ودعوته إلى المسارعة في هدمها وإزالتها، وفتواه بأن الوقف على مثل هذه المخالفات لا يصح ولا ينفذ، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠] فقال: «... وقد أمر رسول الله ﷺ بهدم القبور المشرفة كما تقدم. فهدم القباب والبناء والمساجد التي بنيت عليها أولى وأحرى؛ لأنه لعن متخذي المساجد عليها، ونهى عن البناء عليها، فيجب المبادرة والمساعدة إلى هدم ما لعن رسول الله ﷺ فاعله ونهى عنه، والله عز وجل يقيم لدينه وسنة رسوله من ينصرهما ويذبّ عنهما فهو أشدّ غَيْرة وأسرع تغييراً. وكذلك يجب إزالة كل قنديل أو سراج على قبر وإطفاؤه[1]، فإن فاعل ذلك ملعون بلعنة رسول الله ﷺ ولا يصح هذا الوقف، ولا يحل إثباته وتنفيذه»[2].

- عند قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ ...﴾ الآية [الأنعام: ١١٢]. فقد أشار إلى تلبيس أهل الباطل وتسميتهم بعض أنواع الفجور بأسماء براقة يضللون بها الجهلة وضعاف العقول، وضرب عدداً من الأمثلة لتلك المسميات، فقال: «وإذا تأملت مقالات أهل الباطل رأيتهم قد كسوها من العبارات وتخيّروا لها من الألفاظ الرائقة، ما يسرع إلى قبوله كل من ليس له بصيرة نافذة، -وأكثر الخلق كذلك- حتى إن الفجار ليسمّون أعظم أنواع الفجور بأسماء لا ينبو عنها السمع، ويميل إليها الطبع، فيسمون أمَّ الخبائث أمَّ الأفراح، ويسمّون اللقمة الملعونة لُقَيْمة الذِّكر والفكر التي تثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن،

(١) الأصل: «وطَفْيه».

(٢) بدائع التفسير ٢/ ١٢١، إغاثة اللهفان ٢/ ٢١٠.

ويُسَمُّون مجالس الفجور والفسوق مجالس الطيبة»[1]... إلخ.

سابعاً: المتكلمون والفلاسفة:

كان لانتشار علم الكلام في عصر ابن القيم أثره الواضح في تنزيل الآيات القرآنية على واقع المتكلمين والفلاسفة وشبهاتهم، وبيان مخالفاتهم وإعراضهم عن الوحي القرآني إلى ترهات العقول وزبالات الأذهان، ومن كلامه في ذلك:

- عند قول الله عز وجل: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ [النحل: ١٢٥] فقد بين معنى الآية ثم أشار إلى زعم بعض المتكلمين بأن المراتب المذكورة في الآية إنما هي القياسات المنطقية، فردّ عليهم وفنّد شبهتهم فقال: «... هذا هو الصحيح في معنى هذه الآية لا ما يزعم أسير منطق اليونان أن الحكمة قياس البرهان وهي دعوة الخواص، والموعظة الحسنة قياس الخطابة وهي دعوة العوام، والمجادلة بالتي هي أحسن القياس الجدلي، وهو رد شغب المشاغب بقياس جدلي مسلم المقدمات وهذا باطل، وهو مبني على أصول الفلسفة، وهو مناف لأصول المسلمين وقواعد الدين من وجوه كثيرة ليس هذا موضع ذكرها..» إلى أن قال: «فتنزيل القرآن على قوانين أهل المنطق اليوناني واصطلاحهم وذلك[2] باطل قطعاً من وجوه عديدة...»[3] إلخ كلامه.

- في قوله تعالى: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ﴾ [الشورى: ١٥].

بيَّن ابن القيم أن معنى الآية أن لا جدال ولا خصومة بعد ظهور الحق واستبانته، ثم أشار إلى الفهم الخاطئ لمعنى الآية لدى بعض المتكلمين فقال: «وقد يقع في وهم كثير من

(١) بدائع التفسير ٢/ ١٧٤، الصواعق المرسلة ٢/ ٤٣٨.

(٢) الواو في «وذلك» زائدة.

(٣) بدائع التفسير ٣/ ٦٤-٦٦، مفتاح دار السعادة ١٦٧.

الجهال أن الشريعة لا احتجاج فيها، وأن المرسل بها صلوات الله وسلامه عليه لم يكن يحتج على خصومه ولا يجادلهم، ويظن جهال المنطقيين وفروخ اليونان أن الشريعة خطاب للجمهور ولا احتجاج فيها وأن الأنبياء دعوا الجمهور بطريق الخطابة، والحجج للخواص وهم أهل البرهان يعنون نفوسهم ومن سلك طريقتهم، وكل هذا من جهلهم بالشريعة والقرآن، فإن القرآن مملوء من الحجج والأدلة والبراهين في مسائل التوحيد وإثبات الصانع والمعاد وإرسال الرسل وحدوث العالم، فلا يذكر المتكلمون وغيرهم دليلاً صحيحاً على ذلك إلّا وهو في القرآن بأفصح عبارة وأوضح بيان وأتم معنى وأبعده عن الإيرادات والأسئلة، وقد اعترف بهذا حذاق المتكلمين من المتقدمين والمتأخرين»[1].

- في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [قَ: ٣٧] فقال: «وأما من فسّر الآية بأن المراد بمن كان له قلب هو المستغني بفطرته عن علم المنطق، وهو المؤيد بقوة قدسية ينال بها الحد الأوسط بسرعة فهو لكمال فطرته مستغن عن مراعاة أوضاع المنطق، والمراد بمن ألقى السمع وهو شهيد من ليست له هذه القوة فهو محتاج إلى تعلم المنطق؛ ليوجب له مراعاته وإصغاؤه إليه وألا يزيغ في فكره..» إلى أن قال: «وهو تحريف لكلام الله تعالى وحمل له على اصطلاح المنطقية المبخوسة الحظ من العقل والإيمان، وهذا من جنس تفاسير القرامطة والباطنية وغلاة الإسماعيلية لما يفسرونه من القرآن وينزلونه على مذاهبهم الباطلة، والقرآن بريء من ذلك كله، منزَّه عن هذه الأباطيل والهذيانات..»[2] إلخ.

ويظهر من نقوله المتقدمة: الردُّ على المناطقة والمتكلمين والفلاسفة في تنزيلهم الآيات القرآنية على المذاهب الفلسفية والقوانين المنطقية، لتسويغ باطلهم وهذيانهم، كما يظهر تأكيد تنزيه القرآن الكريم عن تلك الأباطيل والادعاءات، وأن في القرآن غُنْية عن ذلك الهذيان.

(١) بدائع التفسير ٤/ ١١٤، مفتاح دار السعادة ١٥٨.

(٢) بدائع التفسير ٤/ ٢٠٧، مفتاح دار السعادة ١٨٨.

الخاتمة

وبعد هذا التطواف في تفسير الإمام ابن القيم -رحمه الله- وجمع المواضع التي عني فيها بتنزيل الآيات على الواقع والوقوف على شيء من فقهه وعلمه بكتاب الله تعالى، أخلص إلى ما يلي:

أولاً: أهم النتائج:

١- القرآن الكريم منهج حياة، ومحور نجاة، لمن أراد السعادة والريادة في كل زمان ومكان.

٢- تنزيل الآيات على الواقع جانب مهم في تفسير القرآن وتقريب معانيه للأفهام.

٣- عناية المفسرين -قديماً وحديثاً- بتنزيل الآيات على الواقع، والمقارنة بين الأحداث المستجدة في عصورهم وما يناسبها من آيات القرآن وتوجيهاته.

٤- تفاوت المفسرين في تنزيلهم الآيات على الواقع قلة وكثرة، تصريحاً وتلميحاً، بحسب مناهجهم التفسيرية، أو قوة الأحداث وشدة الوقائع والنوازل.

٥- ارتباط مسألة تنزيل الآيات على الواقع بعدد من قواعد التفسير ومسائل علوم القرآن.

٦- عناية الإمام ابن القيم -رحمه الله- بتنزيل الآيات على الواقع: تأصيلاً له وتنظيراً، وعملاً به وتطبيقاً.

٧- للإمام ابن القيم -رحمه الله- منهج خاص في تنزيل الآيات على الواقع، سلك فيه أسلوب التصريح أحياناً، والتلميح غالباً.

٨- تنوع الموضوعات التي عني فيها الإمام ابن القيم بتنزيل الآيات على الواقع حتى شملت الجوانب العقدية والسياسية والاجتماعية والأحوال العامة، وغيرها.

٩- ارتبط «تنزيل الآيات على الواقع» عند الإمام ابن القيم -رحمه الله- بالنص القرآني، من غير تكلُّف أو إفراط أو تفريط.

ثانياً: التوصيات:

١- أوصي أهل العلم وطلابه بالعناية بكتاب الله تعالى فهماً وتدبراً، وعلماً وعملاً.

٢- أوصي الباحثين في مجال القرآن وعلومه أن يعنوا بمسألة تنزيل الآيات على الواقع: بحثاً وتأصيلاً وجمعاً وتحريراً.

٣- أوصي الكليات والأقسام المعنية بالقرآن وعلومه في الجامعات وغيرها بإعداد مشروعات علمية يشترك فيها الأساتذة والطلاب تعنى بجمع أقوال المفسرين في «تنزيل الآيات على الواقع» ودراستها وتصنيفها موضوعياً وتاريخياً.

٤- أوصي علماء التفسير ومشايخه المعاصرين بأن يعنوا بتنزيل الآيات على الوقائع المعاصرة في دروسهم ومواعظهم وفق منهج سلف الأمة وأعلامها.

المراجع والمصادر

أ) المصنفات العامة:

١- ابن قيم الجوزية: حياته - آثاره - موارده / بكر أبو زيد/ دار العاصمة/ ط الثانية ١٤٢٣هـ.

٢- ابن القيم من آثاره العلمية: د. أحمد ماهر البقري/ مؤسسة شباب الجامعة - ١٩٨٧م.

٣- أحكام القرآن: أبو بكر بن العربي/ تحقيق: علي البجاوي/ دار المعرفة-بيروت.

٤- البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي/ دار الفكر/ ط الثانية ١٤٠٣هـ.

٥- بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن القيم الجوزية: يسري السيد محمد / دار ابن الجوزي / ط الأولى ١٤١٤هـ.

٦- البداية والنهاية: ابن كثير/ تحقيق: د. عبدالله التركي/ ط الأولى ١٤١٩هـ.

٧- بغية الوعاة: السيوطي/ تحقيق: محمد أبو الفضل/ المكتبة العصرية - بيروت.

٨- تطبيق الآيات على الوقائع المعاصرة «رسالة ماجستير»: عبدالعزيز الضامر/ جامعة أم القرى ١٤٢٥هـ.

٩- تفسير القرآن العظيم: ابن كثير الدمشقي/ دار المعرفة - بيروت ١٤٠٣هـ.

١٠- الدرر الكامنة: ابن حجر العسقلاني/ تحقيق: سيد جاد الحق.

١١- الجامع لأحكام القرآن: أبو عبدالله القرطبي/ دار الكتب العلمية/ بيروت - ط.الأولى ١٤٠٨هـ.

١٢- شذرات الذهب: ابن العماد/ المكتب التجاري - بيروت.

١٣- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن: محمد فؤاد عبدالباقي/ دار الحديث/ القاهرة ١٤٠٧هـ.

١٤- المحرر الوجيز: ابن عطية الأندلسي/ تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي/ دار الكتب العلمية - بيروت/ ط.الأولى ١٤١٣هـ.

ب) مؤلفات الإمام ابن القيم:

١٥- اجتماع الجيوش الإسلامية: دار الفكر - ١٤٠١هـ.

١٦- إعلام الموقعين: تحقيق: محمد عبدالسلام إبراهيم/ دار الكتب العلمية - بيروت/ ط.الأولى ١٤١١هـ.

١٧- إغاثة اللهفان: مكتبة السنة المحمدية.

١٨- بدائع الفوائد: المطبعة المنيرة.

١٩- التبيان في أقسام القرآن: تحقيق: حامد الفقي/ دار المعرفة.
٢٠- تحفة الودود: تحقيق: د. عبدالغفار سليمان/ دار الريان للتراث.
٢١- جلاء الأفهام: تحقيق: مشهور آل سلمان/ دار ابن الجوزي - الدمام/ ط.الثانية ١٤١٩هـ.
٢٢- زاد المعاد: مؤسسة الرسالة - بيروت/ ط.الثانية ١٤٠١هـ.
٢٣- شفاء العليل: دار المعرفة - بيروت ١٣٩٨هـ.
٢٤- الصواعق المرسلة: دار العاصمة - الرياض ١٤٠٨هـ.
٢٥- عدة الصابرين: دار ابن كثير - دمشق/ ط. الثانية ١٤٠٧هـ.
٢٦- الفوائد: المكتبة القيمة - مصر/ ط.الأولى ١٤٠٠هـ.
٢٧- الكلام على مسألة السماع: دار العاصمة - الرياض/ ط.الأولى ١٤٠٩هـ.
٢٨- مدارج السالكين: تحقيق: رضوان جامع رضوان/ المكتب الثقافي - القاهرة.
٢٩- مفتاح دار السعادة: مكتبة حميدو / ١٣٩٩هـ.
٣٠- المنار المنيف: مكتبة المطبوعات الإسلامية - سوريا/ ١٤٠٣هـ.

فهرس الآيات التي عُني ابن القيم بتنزيلها على الواقع
مرتبة حسب السور

السورة	الآية	رقمها	الصفحة
الفاتحة	﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾	٦	٤٥
البقرة	﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ...﴾	١٧-٢٠	٤١، ٤٧
البقرة	﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ...﴾	١٤٨	٤٣
البقرة	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ ...﴾	١٨٣	٣٦
آل عمران	﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ...﴾	١٨	٤٧
آل عمران	﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى ...﴾	٣١	٤٩
المائدة	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ ...﴾	٩٠	٥٣
الأنعام	﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا ...﴾	١١٢	٥٣
الأنعام	﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ ...﴾	١٢٨	٤٥
الأعراف	﴿ ... فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ ﴾	٢	٤٤
الأعراف	﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾	٥٥	٤٠، ٤٦
الأنفال	﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ...﴾	٣٥	٤٩
الأنفال	﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً ...﴾	٥٣	٥١
التوبة	﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ...﴾	١٦	٤٣
النحل	﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ ...﴾	١٢٥	٤١، ٥٤
الحج	﴿ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ...﴾	٧٤	٤٨
المؤمنون	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ...﴾	٥١-٥٣	٣٧، ٤٢ ٤٤، ٥٠
المؤمنون	﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ ...﴾	٦٨-٧٤	٣٧، ٤٤
النور	﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ...﴾	٣	٣٥

السورة	الآية	رقمها	الصفحة
النور	﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ...﴾	٤٨-٥٠	٥٢
العنكبوت	﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ ...﴾	٢	٥٢
الروم	﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ...﴾	٤١	٣٧، ٤٣ ٥٠
لقمان	﴿وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ...﴾	١٩	٤٩
سبأ	﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ...﴾	٢٢	٣٤
الشورىٰ	﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾	١١	٤٢
الشورىٰ	﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾	١٥	٥٤
قٓ	﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ ...﴾	٣٧	٥٥
الحاقة	﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	٤٣	٤٣
الانشقاق	﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾	١٩	٤٢
البروج	﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾	١	٤٢
التكاثر	﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾	٨	٣٦
الفلق	﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ...﴾	١-٣	٣٨

فهرس الموضوعات

ملخص البحث ٢١
المقدمة: ٢٢
القسم الأول: الدراسة النظرية: ٢٥
أولاً: مقدمات تمهيدية: ٢٥
ثانياً: تعريف موجز بالإمام ابن القيم، وعصره: ٢٧
ثالثاً: عناية المفسرين بتنـزيل الآيات على الواقع: ٢٩
رابعاً: تأصيل مسألة تنـزيل الآيات على الواقع عند الإمام ابن القيم: ٣٤
خامساً: ملامح عامة لمنهج الإمام ابن القيم في تنـزيل الآيات على الواقع: ٣٨
القسم الثاني: الدراسة التطبيقية: ٤٥
أولاً: بدع الصوفية وشطحاتها: ٤٥
ثانياً: نفاة صفات الله تعالى: ٤٧
ثالثاً: السماع والرقص والغناء: ٤٨
رابعاً: القضايا الاجتماعية والأحوال العامة: ٥٠
خامساً: القضايا السياسية: ٥١
سادساً: مظاهر الشرك والفسوق: ٥٣
سابعاً: المتكلمون والفلاسفة: ٥٤
الخاتمة: ٥٦
المراجع والمصادر: ٥٨
فهرس الآيات التي عُني ابن القيم بتنزيلها على الواقع: ٦٠
فهرس الموضوعات: ٦٢